﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحجّ: 6 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

التّدليل على قدرة الخالق على الإيجاد والإفناء

لمّا قرَّرَ الله تعالى الأدلَّةَ على البعث في قولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ ... ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحجّ: 5] – رتَّبَ عليها في هاتين الآيتين ما هو المطلوبُ والنَّتيجةُ، وذكرَ أمورًا خمسةً، فقالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[1]، ولمّا ذكرَ سبحانَهُ افتقارَ الموجوداتِ إليهِ، وتسخيرَها على وفْقِ اقتدارِهِ واختيارِهِ، في قولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الحج: 5] الآيةَ، ذكر بعد ذلك أنَّ الله حَقٌّ، وأنَّ إحياءه المَوْتَى صدق، وأنّه قدير على الإتيان بالسّاعة، دون شك يخالجه، ولا رَيْبٍ يساوره، وأنَّه يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ ممّن انتقلوا من عالم الشّهادة الموسوم بالفناء، إلى عالم الغيب المُتّسم بالخلود والبقاء، فنبَّهَ بذلكَ على أنَّ كلَّ ما سواهُ وإنْ كانَ موجودًا، فإنَّهُ لا حقيقةَ لهُ مِنْ نفسِهِ، لأنَّهُ مُسخَّرٌ مُصرَّفٌ، والحقُّ الحقيقيُّ هو الموجودُ المُطلَقُ، والغنيُّ المُطلَقُ، وهو اللّهُ تعالى[2]، وفي الآية تنبيه على جُملةٍ مِنْ أصولِ الإيمانِ الرّاسخة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: المعنى المحوريُّ للحاءِ والقافِ: إحكامُ الشَّيءِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 205، وابن عادل، اللّباب: 14/ 25.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 14، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 517.

وصحَّتُهُ[1]، وتمكُّنُهُ في مَقَرِّهِ[2]، ومِنْ ذلكَ: ثوبٌ مُحقَّقٌ، إذا كانَ مُحكَمَ النَّسْجِ[3]، والحقُّ نقيضُ الباطلِ، أي: الشَّيءُ الثّابتُ الرّاسخُ المتمكِّنُ[4]، والحقُّ يقالُ على أوجهٍ:

الأوَّلُ: يقالُ لموجِدِ الشَّيءِ، ولهذا قيلَ في اللّهِ سبحانَهُ: هو الحقُّ[5]، ومِنْ ذلكَ قولُهُ تعالى هنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[6]، **والثّاني:** يقالُ للموجَدِ، ولهذا يقالُ: فعلُ اللّهِ تعالى كلُّهُ حقٌّ، **والثّالثُ:** في الاعتقادِ للشَّيءِ المُطابِقِ لِما عليهِ ذلكَ الشَّيءُ في نفسِهِ، نحوُ: اعتقادُ فلانٍ في البعثِ والثَّوابِ والعقابِ والجنَّةِ والنّارِ حقٌّ.

والرّابعُ: للفعلِ والقولِ بحسَبِ ما يجبُ، وبقَدْرِ ما يجبُ، وفي الوقتِ الَّذي يجبُ، كقولِنا: فِعْلُكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ[7]، والحاقَّةُ: اسمُ فاعلٍ مِنْ حَقَّ يَحِقُّ حَقًّا، أي: ثبتَ، وعُبِّرَ بها عنِ القيامةِ؛ لثبوتِها واستقرارِها بالأدلَّةِ الواضحةِ[8].

2) ﴿قَدِيرٌ﴾: يدلُّ (قدر) على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِهِ ونهايتِهِ، والأقدرُ مِنَ الخَيْلِ: الَّذي تقعُ رِجْلاهُ مَواقعَ يديهِ، كأنَّ ذلكَ قدَّرَهُ تقديرًا، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91] معناهُ: ما عظَّموا اللّهَ حقَّ عظَمتِهِ، ولم يَصِفوهُ بصفتِهِ الَّتي تنبغي لهُ جلَّ شأنُهُ، ويقولونَ: رجلٌ ذو قُدرةٍ ومَقْدِرةٍ، أي: يَسارٍ، يعني: أنَّهُ يَبْلُغُ بغِناهُ مِنَ الأمورِ المَبْلَغَ الَّذي يوافقُ إرادتَهُ[9]، ويقالُ: قَدَرَ على الشَّيءِ قُدْرةً، فهو قادرٌ[10]، والقُدرةُ إذا وُصِفَ بها الإنسانُ فاسمٌ لهيئةٍ لهُ بها يتمكَّنُ مِنْ فعلِ شيءٍ ما، وإذا وُصِفَ اللّهُ تعالى بها، فهي نَفْيُ العَجْزِ عنهُ، ولا يوصَفُ غيرُ اللّهِ سبحانَهُ بالقُدرةِ المُطلَقةِ، والتَّقديرُ: تبيينُ كمّيةِ الشَّيءِ[11]، ويمكنُ إرجاعُ هذهِ المعاني إلى معنىً محوريٍّ؛ وهو ضبطُ الشَّيءِ القابلِ للتَّسيُّبِ أو الانبساطِ، وإمساكُهُ على وضعٍ أو كمٍّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حقق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حقق).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (حقق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حقق).
(5) الرّاغب، المفردات: (حقق).
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 145.
(7) الرّاغب، المفردات: (حقق).
(8) السّمين، عمدة الحفّاظ: (حقق).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(10) الخليل، العين: (قدر).
(11) الرّاغب، المفردات: (قدر).

أو مسافةٍ مُعيَّنةٍ، فلا يتسيَّبُ ولا يسترسلُ، كما تضمُّ القِدْرُ اللَّحمَ وغيرَهُ في جَوْفِها بحيثُ لا يتسيَّبُ[1].

3) ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: (سوع) معناه المحوريُّ استمرارُ الشَّيءِ ومُضيهُ[2]، تقولُ: أسَعْتُ الإبلَ إساعةً، إذا أهملتَها حتى تمرَّ على وجهِها، وساعَتْ فهي تَسوعُ، وناقةٌ مِسْياعٌ، وهي الَّتي تذهبُ في المَرْعى، والسّاعةُ: جزءٌ مِنْ أجزاءِ الزَّمانِ، سُمّيتْ بذلكَ؛ لأنَّها تمضي وتمرُّ[3]، والسّاعة الوقت الحاضر، والجمع السّاع والسّاعات، وعامله مساوعة من السّاعة، كما تقول: مياومة من اليوم، ولا يستعمل منهما إلّا هذا[4]، والسّاعَةُ: جُزْءٌ من أجْزاءِ الجَديدَيْنِ، والوَقْتُ الحاضِرُ، ج: ساعاتٌ وساعٌ، والقيامَةُ، أو الوَقْتُ الّذي تقومُ فيه القيامةُ[5]، كما في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: 1]؛ تشبيهًا بالسّاعةِ مِنَ الزَّمَنِ؛ لسُرعةِ الحسابِ فيها، أو لِما نُبِّهَ عليهِ بقولِهِ تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: 35][6].

4) ﴿لَا رَيْبَ﴾: للأصل (ريب) معنىً واحدٌ، يدلُّ على شكٍّ وخوفٍ، تقولُ: رابَني هذا الأمرُ، إذا أدخلَ عليكَ شَكًّا وخَوْفًا[7]، وأرابَ الرَّجلُ: صارَ مُريبًا ذا ريبةٍ[8]، واسترَبْتُ بهِ: رأيتُ منهُ ما يَريبُني[9]، والرّيب: الشَّك من قَوْله جلّ وعزّ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2]، والرّيب: التُّهْمَة، رابَني يريبني ريبًا، وأرابني يريبني، وقد فصل قوم بَين هاتين اللّغتين فَقالوا: رابني، إذا علمت مِنْهُ الرّيبَة، وأرابني إذا ظَنَنْت ذَلِك بِهِ[10]، والرّيبةُ: قَلَقُ النَّفْسِ واضطرابُها؛ فإنَّ كونَ الأمرِ مشكوكًا فيهِ ممّا تَقْلَقُ لهُ النُّفوسُ، ولا تستقرُّهُ، وكونَهُ صادقًا ممّا تطمئنُّ لهُ، ومِنَ البابِ أيضًا: رَيْبُ الزَّمانِ؛ وهو نوائبُهُ الَّتي تَقْلَقُ لها النُّفوسُ، وتَشْخَصُ فيها القُلوبُ[11].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (قدر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوع)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سوع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوع).
(4) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (سوع).
(5) الفيروزابادىّ، القاموس المحيط: (سُوع).
(6) الرّاغب، المفردات: (سوع)، والسمين، عمدة الحفّاظ: (سوع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريب).
(8) الخليل، العين: (ريب).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (ريب).
(10) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ريب).
(11) السّمين، عمدة الحفّاظ: (ريب).

5) ﴿يَبْعَثُ﴾: (بعث) معناه المحوريُّ الإثارةُ للشَّيءِ[1]، بحيثُ يندفعُ ناهضًا أو مُبتعِدًا[2]، يقالُ: بَعَثْتُهُ فانبعثَ، ويختلفُ البَعْثُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلِّقَ بهِ، فبعثتُ البعيرَ: أثَرْتُهُ وسيَّرتُهُ، وقولُهُ ﷻ: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36] معناهُ: يُقيمُهم للحَشْرِ[3]، ويومُ البَعْثِ: يومُ القيامةِ[4]، وقولُهُ ﷻ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّـهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: 31]، أي: فيَّضَهُ ويسَّرَهُ، وقولُهُ: ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التّوبة: 46]، أي: ذهابَهم ومُضيهم[5]، وقولُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾ [الكهف: 12]، أي: أيقَظْناهم؛ سُمّي إيقاظُهم بَعْثًا؛ تشبيهًا للنَّومِ بالموتِ، وقولُهُ: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النّساء: 35]، أي: أرْسِلوا[6].

6) ﴿ٱلْقُبُورِ﴾: المعنى الجامعُ للأصل (قبر) غُموضٌ في شيءٍ وتطامُنٌ، ومِنْ ذلكَ: أرضٌ قَبورٌ: غامضةٌ، ونخلةٌ قَبورٌ: يكونُ حِمْلُها في سَعَفِها[7]، قال سيبويه: المقبرة: ليس على الفعل، ولكنّه: اسم، وقبره يقبره، ويقبره: دفنه، وأقبره: جعل له قبرا، وأقبر القوم قتيلهم: أعطاهم إياه يقبرونه[8]، والقَبْرُ: مَقَرُّ الميِّتِ، ومصدرُ قَبَرْتُهُ: جعلتُهُ في القبرِ، وأقبَرْتُهُ: جعلتُ لهُ مكانًا يُقْبَرُ فيهِ[9]، قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: 21][10]، والمَقْبَرةُ والمَقْبُرةُ: موضعُ القُبورِ[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ اللّهُ جلَّ ذكرُهُ عن تفرُّدِهِ بالوجودِ الذّاتيِّ، وعظيمِ قُدرتِهِ، فيقولُ: ذلكَ المذكورُ مِنْ بَدْئِنا خَلْقَ النّاسِ في بُطونِ أُمَّهاتِهم، ووصفِنا أحوالَهم قبلَ الميلادِ وبعدَهُ، طِفْلًا وكَهْلًا وشَيْخًا هَرِمًا، وتنبيهِنا على إحيائِنا الأرضَ الهامدةَ؛ ليُعلَمَ أنَّ الَّذي فعلَ ذلكَ اللّهُ الَّذي

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعث).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بعث).
(3) الرّاغب، المفردات: (بعث).
(4) الخليل، العين: (بعث).
(5) الراغب، المفردات: (بعث).
(6) السّمين، عمدة الحفّاظ: (بعث).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبر).
(8) ابن سيده، المحكم: (قبر).
(9) الرّاغب، المفردات: (قبر).
(10) السّمين، عمدة الحفاظ: (قبر).
(11) الخليل، العين: (قبر).

هو الحقُّ لا شكَّ فيهِ، وأنَّ ما سواهُ مِنَ الأوثانِ والأصنامِ باطلٌ؛ لأنَّها لا تَقْدِرُ على فعلِ شيءٍ مِنْ ذلكَ، وليُعلَمَ أنَّ قُدرتَهُ سبحانَهُ الَّتي لا يتعذَّرُ عليها إحياءُ الموتى، بعدَ فَنائِهم ودُروسِهم في التُّرابِ، وأنَّ فاعلَ ذلكَ قديرٌ على كلِّ ما أرادَ وشاءَ، لا يمتنعُ عليهِ شيءٌ أرادَهُ، وأنَّ السّاعةَ لا شكَّ في مَجيئِها وحُدوثِها، وأنَّ اللّهَ يبعثُ حينئذٍ مَنْ في القُبورِ مِنَ الأمواتِ أحياءً إلى موقفِ الحسابِ[1].

المعبودُ بالحقِّ هو المُتفرِّدُ بالوجودِ والقُدرةِ على قيامِ السّاعةِ وبعثِ أهلِ القبور

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ في الآيةِ الكريمة:

قولُهُ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، كلامٌ مُستأنَفٌ جيءَ بهِ إثْرَ إقامةِ البُرهانِ على البَعْثِ مِنَ العالَمينِ الإنسانيِّ والنَّباتيِّ؛ لبيانِ أنَّ ذلكَ مِنْ آثارِ أُلوهيَّتِهِ سبحانَهُ، وأنَّ ما يُنكِرونَ إمكانَهُ مِنْ إتيانِ السّاعةِ والبَعْثِ هو مِنْ أسبابِ تلكَ الآثارِ العجيبةِ الَّتي يشاهدونَها في الأنفُسِ والآفاقِ، ومَبادي صُدورِها عنهُ تعالى[2].

الرّبْطُ للجملة مفيدٌ لبيانِ مظاهرِ قدرة الله تعالى

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في السّياق:

الإشارةُ في قولِ الحقِّ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، راجعةٌ إلى ما ذُكِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ ... ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحجّ: 5]؛ مِنْ خَلْقِ الإنسانِ على أطوارٍ مختلفةٍ، وتصريفِهِ في أحوالٍ متباينةٍ، وإحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها، وما في اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، مِنْ معنى البُعدِ؛ للإيذانِ ببُعدِ منزلةِ المُشارِ إليهِ في الكمالِ[3]، مما يدل على كمال عظمة القادر على كل ذلك.

الإيذانُ ببُعدِ منزلةِ المُشارِ إليهِ في الكمالِ والعظمة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 572.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.

(3) السّمين، الدّر المصون: 8/ 235، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.

وجهُ إفرادِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ معَ رجوعِهِ إلى مُتعدِّدٍ:

الإفرادُ باعتبارِ تأويلِ المُشارِ إليهِ بالمذكورِ من البيانِ المأثور

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (تلكَ بأنَّ اللّهَ هو الحقُّ)؛ لأنَّ الإشارةَ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، راجعةٌ إلى مذكوراتٍ في الآيةِ السّابقةِ؛ وهي خَلْقُ الإنسانِ في أطوارٍ مُختلِفةٍ، وتحويلُهُ على أحوالٍ مُتضادَّةٍ، وإحياءُ الأرضِ بعدَ موتِها[1]، لكنْ عُدِلَ إلى الإفرادِ في ﴿ذَٰلِكَ﴾، معَ أنَّ المُشارَ إليهِ مُتعدِّدٌ؛ لتأويلِهِ بما ذُكِرَ، أي: ما ذُكِرَ مِنْ كذا وكذا بأنَّ اللّهَ هو الحقُّ... الخ[2].

نكتةُ إفرادِ حرفِ الخطابِ المُقترنِ باسمِ الإشارةِ:

الخطابُ لغيرِ مُعيَّنٍ خطابٌ لكلِ من يصل إليه

قولُهُ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، بإفرادِ حرفِ الخِطابِ المُقترنِ باسمِ الإشارةِ، دونَ أنْ يقالَ: (ذَلِكُمْ بِأنَّ اللّهَ هو الحَقُّ)، بجمعِ حرفِ الخِطابِ؛ لإرادةِ مُخاطَبٍ غيرِ مُعيَّنٍ، على نَسَقِ قولِهِ عَلَتْ كلمتُهُ في الآيةِ السّابقةِ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾ [الحج: 5]، ولأنَّ اتِّصالَ اسمِ الإشارةِ بكافِ خطابِ الواحدِ هو الأصلُ[3]، ومخاطبة غير المعيّن تحمل كل مخاطَب سمع هذا الكلام أن يصغيَ إليه ويعتبر بما فيه كأنه هو المخاطب به أصالة وابتداء.

سرُّ تنوّعِ إعرابِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في السّياقِ الكريم:

حملُ المخاطبِ على الاتعاظِ بكلِ المعاني المحتملة

يحتملُ اسمُ الإشارةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، ثلاثةَ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّهُ مبتدأٌ، والخبرُ الجارُّ والمجرورُ بعدَهُ[4]، أي: ذلكَ حصلَ بسببِ أنَّ اللّهَ هو الحقُّ إلخ[5].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 65.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 19، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 204.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 109، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 65، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 445.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 204.

والثّاني: أنَّهُ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: الأمرُ ذلكَ[1].

والثّالثُ: أنَّهُ منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ، أي: فعَلْنا ذلكَ بسببِ أنَّ اللّهَ هو الحقُّ[2].

فالباءُ على الأوَّلِ مرفوعةُ المحلِّ، وعلى الثّاني والثّالثِ منصوبتُهُ[3]، وفائدة ذلك التّنوّع بارزة، في ثراء السّياق وانفساحه لأكثر من معنى، بوقوعه مبتدأ أو خبرا، أو معمولا لفعل محذوف، وفي جميع الحالات، تزداد الدّلالة رسوخا ووضوحا، بأنّ الله هو الحقّ بيقين وصدق، وتبرز قدرة الله على فعل ما أراد، كما يريد.

دلالةُ الباءِ بعد الإشارة في الآية:

بديع الخلق من الله وبقدرة الله

الباءُ في قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ للسَّببيَّةِ[4]، والمعنى: ذلكَ الصُّنْعُ البديعُ حاصلٌ بسببِ أنَّ اللّه سبحانَهُ هو الحقُّ وحدَهُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، المُحقِّقُ لِما سواهُ مِنَ الأشياءِ[5].

ويجوزُ أنْ تكونَ الباءُ للمُلابَسةِ، والمعنى: كانَ ذلكَ الخَلْقُ وذلكَ الإنباتُ البَهيجُ مُلابِسًا لحقّيةِ إلهيَّةِ اللّهِ، وهذهِ المُلابَسةُ مُلابَسةُ الدَّليلِ لمدلولِهِ[6].

بلاغةُ التَّوكيدِ في الآيتينِ:

اقتضاءُ مقامِ الإنكارِ والتَّكذيبِ التَّوكيدَ بيانٌ مفصح مفيد

لمّا كانَ المقامُ لإثباتِ جملةٍ مِنَ الحقائقِ والقضايا الكُبرى الَّتي يُكذِّبُ بها المُشركونَ، ومنها: حقّيتُهُ جلَّ شأنُهُ، وإثباتُ البعثِ، وإثباتُ قُدرتِهِ المُطلَقةِ سبحانَهُ وتعالى جيءَ بالجملِ الدّالَّةِ على هذهِ الحقائقِ مُؤكَّدةً، في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 413.
(2) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 413.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 235.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 283، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4947.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 204.

وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾؛ لاقتضاءِ مقامِ الإنكارِ والتَّكذيبِ التَّوكيدَ، وإظهارًا لعنايةِ المتكلِّمِ بإثباتِ هذهِ الحقائقِ الكُبرى الَّتي عليها مَدارُ كثيرٍ مِنْ أصولِ الإيمانِ.

سرُّ اختيارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ دونَ سواه:

مناسبةُ اللّفظِ لمقامِ الكمالِ وعظيمِ قُدرةِ ذي الجلال

اختيرَ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، لفظُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ، مِنْ أسمائِهِ الحُسنى سبحانَهُ وتعالى؛ لأنَّ لفظَ الجلالةِ جامعٌ لأوصافِ الكمالِ، والتَّنزيهِ مِنْ كلِّ نقصٍ[1]، فهو يدلُّ على الذّاتِ وعلى سائرِ صفاتِهِ جلَّ وعزَّ، وقد جرَتْ عادةُ القُرآنِ على استعمالِهِ في مقامِ الهيبةِ والجلالِ وعظيمِ القُدرةِ، والسّياقُ هنا لإثباتِ حقّيتِهِ ﷻ، وإثباتِ البعثِ والنُّشورِ والسّاعةِ، ونحوِ ذلكَ، ممّا لا يَقْدِرُ عليهِ إلّا اللّهُ المعبودُ بالحقِّ.

نكتةُ استعمالِ ضميرِ الفصلِ ﴿هُوَ﴾:

اللهُ تعالى وحدَهُ سببُ الوجودِ والمتفرّدُ بكمالِهِ

يدلُّ استعمالُ ضميرِ الفصلِ، في قولِ الحقِّ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، على الحصرِ[2]، والمعنى: (ذلكَ بسببِ أنَّ اللّهَ سبحانَهُ وتعالى وحدَهُ الثّابتُ)، أي: الموجودُ بذاتِهِ الَّذي بِهِ تتحقَّقُ الموجوداتُ بأسْرِها مِنَ المُمكناتِ، فالمُمكناتُ لاستواءِ الوجودِ والعَدَمِ، بالنِّسبةِ إلى ذواتِها لا يكونُ وجودُها إلّا بسببِهِ تعالى؛ إذ لا وجودَ بلا موجِدٍ[3].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾:

اللهُ تعالى هو الحقُ وما دونَهُ مِنَ المعبوداتِ باطلٌ

لامُ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ لامُ الجنسِ، وذكرُها في هذا التَّركيبِ قد أصابَ المَحَزَّ، وطبَّقَ المَفْصِلَ؛ لأنَّ مِثلَ هذا التَّركيبِ يفيدُ القصرَ بسببِ تعريفِ الطَّرفينِ - وهما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 13، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4947.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 283، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4947.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 19.

لفظُ الجلالةِ و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ - وتوسيطِ ضميرِ الفصلِ ﴿هُوَ﴾، وكونُ اللّامِ للجنسِ يُقوّي المبالغةَ في القصرِ، يعني: أنَّكَ إذا أردتَ أنْ تَعْرِفَ مفهومَ الحقِّ فهو اللّهُ جلَّتْ قُدرتُهُ، كقولِكَ: (عمرٌو هو الشُّجاعُ)؛ فإنَّهُ يفيدُ قصرَ الشَّجاعةِ على عمرٍو، وكأنَّكَ إذا أردتَ أنْ تَعْرِفَ مفهومَ الشُّجاعِ لا تجدُ لهُ صورةً إلّا في عمرٍو.

والقصرُ في الآيةِ إضافيٌّ، أي: هو الحقُّ دونَ غيرِهِ مِنْ معبوداتِكم؛ فإنَّها لا وجودَ لها، قالَ تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [النّجم: 23]، وهذا الاستدلالُ هو أصلٌ بقيَّةِ الأدلَّةِ؛ لأنَّهُ نَقْضٌ للشِّركِ الَّذي هو الأصلُ لجميعِ ضلالاتِ أهلِهِ، وأمّا بقيَّةُ الأمورِ المذكورةِ بعدَ قولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ فهي لبيانِ إمكانِ البَعْثِ[1].

سرُّ استعمالِ لفظِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ دونَ (الخالقِ):

مناسبةُ لفظِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ لسياقِ إثباتِ الوحدانيَّةِ

جاءَ قبلَ هذهِ الآيةِ قولُهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: 5] الآيةَ، فالظّاهرُ أنْ يقالَ: (ذلكَ بأنَّ اللّهَ هو الخالقُ)، لكنْ عُدِلَ عنهُ، إلى قولِهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾؛ لأنَّ الخالقَ قد يخلقُ شيئًا ثمَّ يتخلَّى عنهُ، أمّا اللّهُ ﷻ، فهو الخالقُ الحقُّ، أي: الثّابتُ الَّذي لا يتغيَّرُ، كذلكَ عطاؤُهُ لا يتغيَّرُ، فسوف يظلُّ سبحانَهُ خالقًا يُعطيكَ كلَّ يومٍ؛ لأنَّ عطاءَهُ دائمٌ لا يَنْفَدُ[2]، وكذلكَ التَّعبيرُ بالحقّيةِ يناسبُ سياقَ إثباتِ وحدانيَّتِهِ وقُدرتِهِ ﷻ؛ لأنَّهُ يفيدُ أنَّهُ سبحانَهُ، هو وحدَهُ الثّابتُ الموجودُ بذاتِهِ، وما سواهُ مِنَ الموجوداتِ، لولا حفظُه لها، لكانت في مَحْوٍ وفي اضمحلالٍ، ومُفيضُ الوجودِ على الموجوداتِ، هو المُستحقُّ للعبادةِ، وهو القديرُ على الإحياءِ والإماتةِ، والبَعْثِ والنُّشورِ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 205.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9714.

بلاغةُ الفذلكة في الآية الكريمة:

التّذييل بجملة الإجمال لِما سبقَ تفصيلُهُ في المقال

جملةُ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، تذييل لِما تقدَّمَ في قولِ الحقِّ علَتْ كلمتُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحجّ: 5]؛ لأنَّها إجمالٌ لِما سبقَ تفصيلُهُ، وخلاصةٌ لِما تقدَّمَ؛ إذ الإشارةُ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدَّمَ مِنْ أطوارِ خَلْقِ الإنسانِ وفَنائِهِ، ومِنْ إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها وانبثاقِ النَّبْتِ منها، فتكونُ الجملةُ تذييلًا[1].

دلالةُ الواوِ في جملة ﴿وَأَنَّهُۥ﴾:

الوصل بالعطف يكمّل المعنى المسوق في الآية

الواوُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على قولِهِ تعالى: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾[2]، والمعنى: (ذلكَ بأنَّ اللهَ هو الحقُّ، وبأنَّهُ يُحيي الموتى)، كما أحيا الأرضَ الميتةَ المذكورةَ، في قولِهِ قبلَ هذهِ الآيةِ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحجّ: 5][3].

نكتةُ تكرارِ (أنَّ) في الآيتين:

كل المذكورات آيات معجزات باهرات

جاء قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾، بتكرارِ (أنَّ)، لِما يُفيدُهُ ذلك مِنْ إظهارِ الاعتناءِ بمضمونِ كلِّ جملةٍ، بجعلِها جملةً مُستقِلَّةً مُصدَّرةً بالتَّوكيدِ المناسبِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 204.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 19.
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 429.

لمقامِ الرَّدِّ على الجاحدينَ المعاندينَ، وإثباتِ الوحدانيَّةِ والبَعْثِ وغيرِهما مِنَ الأمورِ المذكورةِ في هاتينِ الآيتينِ.

المرادُ بقولِهِ: ﴿يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

بيان أنّ المراد الإحياءُ بالفعلِ أو القُدرةُ عليهِ

اختُلِفَ في بيانِ المرادِ بإحياءِ الموتى في قولِهِ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فقيلَ: المرادُ: أنَّهُ يُحيي الموتى بالفعلِ؛ لأنَّهُ لمّا بيَّنَ في قولِهِ في الآيةِ السّابقةِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآية [الحجّ: 5]، إمكانَ الإحياءِ بالبراهينِ الثَّلاثةِ النَّيِّرةِ، أخبرَ بأنَّهُ يُحيي الأمواتَ بالفعلِ[1]، وقيلَ: المرادُ القُدرةُ على الإحياءِ، والمعنى: (وأنَّهُ قادرٌ على إحياءِ الموتى)[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يُحْيِ﴾:

شأنُهُ سبحانَهُ وعادتُهُ إحياءُ الموتى وذلك أمر عليه يسير

قولُهُ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، معناهُ: شأنُهُ وعادتُهُ إحياءُ الموتى؛ لأنَّ صيغةَ المضارعِ تُفيدُ التَّجدُّدَ والاستمرارَ، باعتبارِ مُتعلَّقاتِ القُدرةِ، فهو سبحانَهُ يُحيي النُّطْفةَ والأرضَ الميّتةَ مِرارًا بعدَ مِرارٍ[3]، ويُحيي غيرَهما ممّا لا يُحيطُ بهِ علمًا إلّا هو ﷻ.

دلالةُ ذكرِ لفظِ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الآيةِ:

التَّأكيدُ ومراعاةُ الطِّباقِ في ثنايا السّياق

قولُهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، بذكرِ الموتى، معَ أنَّ الإحياءَ لا يكونُ إلّا لهُم، فيكونُ الفعلُ ﴿يُحْيِ﴾، مُغنيا عن ذكرِهم؛ لتأكيدِ وقوعِ الإحياءِ عليهِم، ودفعِ توهُّمِ المجازِ، ولأنَّ التَّصريحَ بذكرِهم، أوقعُ في إثباتِ البَعْثِ والنُّشورِ الَّذي هو مقصودُ الكلامِ، وليرتسمَ في نفسِ السّامعِ صورةُ الإحياءِ، وهو يقعُ على ما يضادُّ الحياةَ؛ وهو الموتُ، فيكونَ في الكلامِ طِباقٌ.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 19.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 145، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.

نكتةُ تخصيصِ (إحياءِ الموتى) بالذِّكرِ:

مقتضي الرَّدِّ على المُنكِرينَ بأدلّة من الواقع وبراهين

تخصيصُ إحياءِ الموتى بالذِّكرِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، مَعَ كونِهِ مِنْ جملةِ الأشياءِ المقدورِ عليها، المذكورةِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ للتَّصريحِ بما فيهِ النِّزاعُ، والدَّفعِ في نُحورِ المُنكِرينَ؛ لأنَّ الكلامَ مَسوقٌ للرَّدِّ عليهِم، وتقديمُهُ على ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ لإبرازِ الاعتناءِ بهِ[1].

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ في الآية:

الواوُ في قولِ الحقِّ جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على ما قبلَها، والمعنى: (ذلكَ بأنَّ اللّهَ هو الحقُّ، وبأنَّهُ يُحيي الموتى، وبأنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ).

بلاغةُ تقديمِ شبه الجملة على ﴿قَدِيرٞ﴾:

الاهتمامُ بالمُقدَّمِ ومراعاةُ الفاصلةِ من بليغ الكلام

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وفيه أنّه بعدَما ذكرَ سبحانَهُ وتعالى أنَّهُ وحدَهُ الثّابتُ الموجودُ بذاتِهِ، وأنَّهُ يُحيي الموتى؛ ذكرَ تعالى في قولِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ قُدرتَهُ البالغةَ على كلِّ شيءٍ، وصدَّرَ الكلامَ بالتَّوكيدِ المناسبِ، لمقامِ الرَّدِّ على الجاحدينَ، وقدَّمَ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على ﴿قَدِيرٞ﴾؛ لأنَّ ذلكَ يدلُّ على عظيمِ اهتمامِهِ بخَلْقِهِ[2]، ولما يقتضيه المقام من بيان أنه سبحانه ذو القدرة المطلقة الَّتي لا يخرج عنها شيء، إضافةً إلى ما في تأخيرِ ﴿قَدِيرٞ﴾ مِنْ مُراعاةِ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما بعدَها.

دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ في السّياق:

التَّنبيهُ على عِظَمِ القُدرةِ مقصد مهمّ في بيان الآية

يدلُّ استعمالُ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ الدّالِّ على الاستعلاءِ، في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، على سُمو قُدرتِهِ ﷻ، وتمكُّنِهِ مِنَ الإيجادِ لِما يريدُ، فالأشياءُ المُمكِنةُ كلُّها مقهورةٌ تحتَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4947.

باهرِ قُدرتِهِ، وعظيمِ سُلطانِهِ، يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يريدُ، وإذا قضى أمرًا، فإنَّما يقولُ لهُ كنْ فيكونُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ العُمومِ ﴿كُلِّ﴾:

يدلُّ استعمالُ لفظِ العُمومِ في قولِهِ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ على شُمولِ قُدرتِهِ تباركَ شأنُهُ لكلِّ شيءٍ مِنَ الخَلْقِ وغيرِهِ[1]، فلا يعجزه شيء سبحانه، والَّذي يصحُّ منهُ إيجادُ كل هذهِ الأشياءِ لا بدَّ وأنْ يكونَ واجبَ الاتِّصافِ لذاتِهِ بالقُدرةِ.

شُمول قُدرتِهِ ﷻ ممّا يجب الإيمان به

علَّةُ التَّعبيرِ بـ ﴿قَدِيرٞ﴾ دونَ (قادرٍ):

لمّا كانَ المقامُ مقامَ مبالغةٍ في بيانِ شُمولِ قُدرتِهِ جلَّ وعزَّ وإحاطتِها وعُلو شأنِها - عُبِّرَ في قولِهِ علَتْ كلمتُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ بـ ﴿قَدِيرٞ﴾، ولم يُقَلْ: (قادرٌ)؛ لما تُفيدُهُ صيغةُ فعيلٍ مِنَ المبالغةِ، أي: مُبالِغٌ في القُدرةِ، وإلّا لَما أوجدَ هذهِ الموجوداتِ الفائتةَ للحصرِ الَّتي مِنْ جُملتِها ما ذُكِرَ[2]، وفيهِ أيضًا مراعاةُ مناسبةِ فاصلةِ الآيةِ لما بعدَها[3].

المبالغةُ في وصفِهِ تعالى بالقُدرةِ ومراعاةُ الفاصلةِ من بيان السّياق

نكتة إعراب جملة: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾:

اختُلِفَ في إعرابِ قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾: فقيلَ: إنَّهُ عطفٌ على المجرورِ بالباءِ، في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾[4]، وقيلَ: إنَّهُ ليسَ معطوفًا عليهِ، ولا داخلًا في حيِّزِ السَّببيَّةِ، وإنَّما هو خبرٌ، والمبتدأُ محذوفٌ؛ لكونِ المعنى مفهومًا، والتَّقديرُ: (والأمرُ أنَّ السّاعةَ)[5]، واعتُرِضَ عليهِ: بأنَّ فيهِ قطعًا للكلامِ عنِ الانتظامِ[6].

عطف الجملة من الآية على ما قبلَها أرجح وآثر في الدّلالة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 14.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(3) اطفيّش، تفسير اطفيش: 6/ 288.
(4) السّمين، الدّر المصون: 8/ 235، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 96.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 109، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 487.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.

وقيلَ: يُضمَرُ لهُ فعلٌ ينصبُهُ، ويدلُّ عليهِ ما تقدَّمَ، والمعنى: (ولِتعلَموا أنَّ السّاعةَ آتيةٌ)، يعني: أنَّ بَدْءَ الخَلْقِ وإحياءَ الأرضِ بالماءِ، دلالةٌ لكُم؛ لِتعلَموا أنَّ القيامةَ آتيةٌ[1].

المرادُ بلفظ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في الآية الكريمة:

المـرادُ بالسّاعة يـومُ القيامةِ على الظّاهرِ وهو أنسب للسّياق

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالسّاعةِ في قولِهِ جلَّ وتبارك: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ يومُ القيامةِ المُشتمِلُ على النَّشْرِ والحَشْرِ وغيرِهما.

وقيلَ: المرادُ بها هنا فَناءُ العالَمِ بالكلّيةِ؛ لئلّا يلزمَ التَّكرارُ معَ البَعْثِ، في قولِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[2].

دلالةُ (أل) في لفظِ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾:

كـــون الـــلّامِ للعهدِ مهمّ في توجيه المعنى

اللّامُ في قولِهِ جلَّتْ كلمتُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ للعهدِ؛ لأنَّ لفظَ السّاعةِ إذا وردَ مُعرَّفًا في القُرآنِ الكريمِ فالمرادُ بهِ يومُ القيامةِ، ولا يتبادرُ الذِّهنُ إلى غيرِهِ، ومِنْ أمثلةِ ذلكَ: قولُهُ تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: 31]، وقولُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: 40]، وقولُهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: 187]، وهذا التذكير بهول السّاعة ويقين حلولها، تأكيد يقينيّ لا يساور المؤمنين فيه شكّ، لأنّ مصدر الإخبار من العليم القهّار الّذي بيده النّواصي، حيث جعلها ساعة تحدّد للكائنات ميقات النّهاية، الّتي سوف تعصف لا محالة بالدّنيا، وتؤول بالبشر جميعا إلى صعيد الآخرة.

سرُّ إيثارِ لفظ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ على (تأتي):

الـــدّلالـــةُ على تحقيقِ الإتيانِ وتقرُّرِهِ مقصد في الآية مفيد

إيثارُ صيغةِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ تعالى شأنُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ على الفعلِ، فلم يُقَلْ: (وأنَّ السّاعةَ تأتي)؛ للدَّلالةِ على تحقيقِ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 277، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 15.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 116.

إتيانها وتقرُّرِه؛ لاقتضاءِ الحكمةِ إيّاهُ لا محالةَ[1]، واسمُ الفاعلِ أدلُّ على الثُّبوتِ مِنَ الفعلِ[2]؛ إذ الفعلُ يدلُّ على الحدوثِ والتَّجدُّدِ.

بلاغةُ النّفي بالحرف ﴿لَّا﴾ النّافية للجنسِ:

تأكيدُ نفي الرَّيبِ ترسيخ للإيمان وترسيّة للإيقان

صيغةُ نفي الجنسِ على سبيلِ التَّنصيصِ، في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، صيغةُ تأكيدٍ؛ لأنَّ ﴿لَّا﴾ النّافيةَ للجنسِ في مقامِ النَّفي بمنزلةِ (إنَّ) في مقامِ الإثباتِ، ولذلكَ أُعملَتْ عملَها في نصبِ الاسمِ ورفعِ الخبرِ[3]، والمعنى: (وأنَّ السّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها بوجهٍ مِنَ الوجوهِ؛ لقيامِ الدَّليلِ على ذلكَ بقولِ مَنْ لا مَرَدَّ لقولِهِ، وهو حكيمٌ لا يُخلِفُ ميعادَهُ، ولا يتركُ عبادَهُ بغيرِ حسابٍ)[4].

معنى نفي الرَّيْبِ في السّياق المحكم:

السّاعةُ ليسَتْ مَظِنَّةً للرَّيْبِ لأنّها واقعٌ ما له من دافع

معنى نفي الرَّيْبِ عن السّاعةِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: أنَّها في ظُهورِ أمرِها ووضوحِ دلائلِها التَّكوينيَّةِ والتَّنزيليَّةِ، بحيثُ ليسَ فيها مَظِنَّةُ أنْ يُرتابَ في إتيانِها[5]، لا أنَّهُ لا يرتابُ فيها أحدٌ أصلًا؛ فقد ارتابَ فيها الكَفَرةُ الجاحدونَ المعاندونَ.

نكتة إعرابِ جملةِ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾:

الساعة وكل ما فيها من أحداث حق لا مرية فيه

تحتملُ جملةُ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ أنْ تكونَ خبرًا ثانيًا لـ ﴿وَأَنَّ﴾، وتحتملُ أنْ تكونَ حالًا مِنْ ضميرِ السّاعةِ في الخبرِ[6]، أي: مِنَ الضَّميرِ المُقدَّرِ في ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وعطف آية ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ على آية ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إشارة إلى أنّ عمليّة إحياء الموتى، ليست مُنْتهى قدرة الله، إنّما في قدرته تعالى كثير من الآيات والعجائب، ومنها

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(2) اطفيّش، تفسير اطفيّش: 6/ 289.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 206.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 14.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 96، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(6) السّمين، الدّر المصون: 8/ 235، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 96.

قيام الساعة والبعث والنشور، ومعنى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، أي: لا شَكَّ فيها، والسّاعة: زمن القيامة وموعدها[1]، وعلى البشر أن يتيقّنوا بكونها آتية بلا أدنى ريب، وأن يهيّئوا أنفسهم لمباغتتها لهم، في أيّة لحظة، فالسّاعة لا يعلمها ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل.

سرُّ تأخيرِ ﴿فِيهَا﴾ عن ﴿لَّا رَيْبَ﴾:

دفعُ توهُّمِ إرادةِ الحصرِ مفيد في بيان معنى الآية الكريمة

قُدِّمَ ﴿رَيْبَ﴾ على ﴿فِيهَا﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ لأنَّهُ لو قُدِّمَ ﴿فِيهَا﴾، لأفادَ تقديمُهُ الحصرَ، وأنَّ الرَّيْبَ منفيٌّ عنِ السّاعةِ دونَ غيرِها، وليسَ مقصودُ الكلامِ إثباتَ الرّيْبِ في غيرِها، بل المقصودُ نَفْيُ الرَّيْبِ عنها البتَّةَ.

نكتة ارتباطِ مجيء السّاعة بمَطْلَعِ السّورةِ:

تقويةُ التَّحذيرِ والوعيدِ من الساعة وأهوالها

في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ تأكيدٌ لقيامِ السّاعةِ الَّتي تقدَّمَ التَّحذيرُ منها في قولِهِ جلَّ وتبارَكَ في مَطْلَعِ السّورةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج: 1][2]، فتكونُ هذهِ الجملةُ مُقوّيةً للتَّحذيرِ والوعيدِ السّابقين، وذلكَ ممّا يزيدُ التَّماسكَ والتَّرابطَ بينَ أجزاءِ السّورةِ.

دلالةُ الواوِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ﴾:

عطفُ الجملةِ على ما قبلَها ربط للمعاني وتجليّة للدّلالة

الواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ﴾ عاطفة على ما قبلها، و(أنَّ) وما بعدَها في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾، في تأويلِ مصدرٍ معطوفٍ على المصدرِ المجرورِ بباءِ السَّببيَّةِ، داخلٍ معَهُ في حيِّزِها[3]، ومِنْ لطائفِ هذا العطفِ: أنَّ السّاعةَ هي القيامةُ، لكنَّ القيامةَ ستكونُ للحسابِ والفصلِ بينَ النّاسِ، فلا بدَّ مِنْ بَعْثِهم مِنَ القُبورِ، لذلكَ قالَ بعدَها: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[4].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 16/ 9716.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 14.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 115.
(4) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 16/ 9716.

بلاغةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لمقامِ الهيبةِ وكمالِ القُدرةِ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (وأنَّهُ يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ)؛ لتقدُّمِ مرجعِ الضَّميرِ، في قولِهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، لكنْ عُدِلَ عنِ الإضمارِ إلى الإظهارِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾؛ لِما في لفظِ الجلالةِ مِنَ الإشارةِ إلى صفاتِ الجلالِ والكمالِ، ومنها القُدرةُ الباهرةُ، وذلكَ يناسبُ مقامَ الحديثِ عن إحياءِ مَنْ في القُبورِ؛ للفصلِ بينَهم يومَ القيامةِ في كلِّ ما اختلَفوا فيهِ[1]، وفي إظهارِ لفظِ الجلالةِ أيضًا غَرْسٌ للمَهابةِ في النُّفوسِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَبْعَثُ﴾:

أهوالُ الساعةِ والبعثِ أمرٌ عظيمٌ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ، في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾؛ لاستحضارِ مشهدِ البعثِ يومَ القيامةِ، وتصويرِهِ كأنه واقعٌ يراه من يسمعُ وصفَه، وهذا الأسلوبُ يكثرُ في كتابِ اللهِ تعالى حينَ يذكرُ أحوالَ القيامةِ وأهوالَها، كقولِهِ تعالى ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [غافر: 47] الآية، وقولِهِ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 88]، وكلُّ ذلكَ يناسبُ مقامَ التهويلِ والتحذيرِ من ذلكَ اليومِ العظيمِ.

علَّةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿مَن﴾:

شُمولُ البَعْثِ لكلِّ مَنْ في القُبورِ غرضٌ للسّياقِ مذكورٌ

يدلُّ التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ على شُمولِ البَعْثِ والإحياءِ لكلِّ مَنْ في القُبورِ؛ لأنَّ الموصولَ مِنْ ألفاظِ العُمومِ، والمعنى: (وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ كلَّ مَنْ في القُبورِ، لا يتخلَّفُ عن ذلكَ اليومِ العظيمِ أحدٌ، وفي ذلكَ مِنَ التَّهويلِ والتَّعظيمِ لذلكَ المَشْهَدِ المَهيبِ ما فيهِ).

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 14.

بلاغةُ الكنايةِ في سياق الآية:

الكنايةُ عن كونِهِ تعالى حكيمًا من البيان المفصح البليغ

في قولِه: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾، جُعِلَ إتيانُ السّاعةِ وبَعْثُ مَنْ في القُبورِ المذكورانِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾، كنايةً عن كونِهِ تعالى حكيمًا؛ لكونِهما مِنْ روادفِ الحكمةِ، كأنَّهُ قيلَ: ذلكَ بسببِ أنَّهُ تعالى قادرٌ على إحياءِ الموتى، وعلى كلِّ مقدورٍ، وأنَّهُ حكيمٌ لا يُخلِفُ ميعادَهُ، وقد وعدَ بالسّاعةِ والبَعْثِ، فلا بدَّ أنْ يَفي بما وعدَ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البَعْثُ والإحياءُ:

البَعْثُ أعمُّ مِنَ الإحياءِ ودلالته عليه أبلغ وأوضح

أصلُ البَعْثِ: إثارةُ الشَّيءِ وتوجيهُهُ، يقالُ: بعثْتُهُ فانبعثَ، ويختلفُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلِّقَ بهِ، فبعثْتُ البعيرَ: أثَرْتُهُ وسيَّرْتُهُ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، أي: يُخرِجُهم ويُسيِّرُهم إلى القيامةِ، وأمّا الإحياءُ فيقالُ: أحيا اللّهُ الشَّيءَ، أي: جعلَ الحياةَ تدبُّ فيهِ[2]، وبناءً على ذلكَ يكونُ البَعْثُ أعمَّ مِنَ الإحياءِ؛ لأنَّها يُستعمَلُ في إحياءِ الموتى، وإخراجِهم للقيامةِ، ويُستعمَلُ في غيرِهِ، كإثارةِ البعيرِ وتسييرِهِ.

القادرُ والقديرُ:

القديرُ أبلغُ مِنَ القادرِ في الدّلالة على معنى القدرة

الاسمُ (قادرٌ) مَصوغٌ على وزنِ اسمِ الفاعلِ، وهو دالٌّ على الاتِّصافِ بصفةِ القُدرةِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: 37]، والمقامُ يقتضي هذهِ الصّيغةَ دونَ غيرِها؛ لأنَّ إنزالَ آيةٍ لا يحتاجُ إلى المبالغةِ في القُدرةِ، والاسمُ (قديرٌ) مَصوغٌ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 145، وانظر للتوسّع: إرشاد العقل السّليم: 6/ 96.
(2) زيدان، الفروق اللّغويّة، ص: 286.

على فعيلٍ، وهو مِنْ أوزانِ المبالغةِ، يدلُّ على المبالغةِ في الاتِّصافِ بالقُدرةِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، والسّياقُ يقتضي استخدامَ صيغةِ المبالغةِ؛ لأنَّهُ للتَّنبيهِ على شُمولِ قُدرةِ اللّهِ تعالى وإحاطتِها[1].

الرَّيْبُ والشَّكُّ:

الشَّكُّ: اعتدالُ النَّقيضينِ عندَ الإنسانِ وتساويهما، وقد يكونُ ذلكَ بسببِ وجودِ أمارتينِ متساويتينِ عندَ النَّقيضينِ، أو بسببِ عدمِ الأمارةِ فيهما، وقد يكونُ الشَّكُّ في الشَّيءِ هل هو موجودٌ أو غيرُ موجودٍ؟ وقد يكونُ في جنسِهِ مِنْ أيِّ جنسٍ هو؟ وقد يكونُ في بعضِ صفاتِهِ، وقد يكونُ في الغرضِ الَّذي لأجلِهِ أوجِدَ[2].

الشَّكُّ تساوي النَّقيضينِ والرَّيْبُ شكٌّ معَ تُهمةٍ أو خَوْفٍ

والرَّيْبُ قريبٌ مِنَ الشَّكِّ، وفيهِ زيادةٌ، كأنَّهُ تُهمةٌ وظنُّ سَوْءٍ، تقولُ: رابَني أمرُ فلانٍ، إذا ظننتَ بهِ سَوْءًا[3]، ويكونُ الرَّيْبُ شكًّا معَ خوفٍ أيضًا، تقولُ: رابَني هذا الأمرُ، إذا أدخلَ عليكَ شكًّا وخَوْفًا[4].

البَعْثُ والإرسالُ:

قيلَ في الفرقِ بينَ البَعْثِ والإرسالِ: إنَّ الإرسالَ لا يكونُ إلّا برسالةٍ وما يَجْري مَجْراها، وأمّا البَعْثُ فيكونُ دونَ ذلكَ[5]، وقيلَ: إنَّ الاستعمالَ القرآنيَّ لكلمتَي البَعْثِ والإرسالِ يشتركُ في مَلْمَحٍ دلاليٍّ عامٍّ؛ هو التَّوجيهُ، وبينَ الكلمتينِ ملامحُ دلاليَّةٌ فارقةٌ؛ هي: أنَّ البَعْثَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ التَّنبيهِ والإيقاظِ والإثارةِ، والإرسالَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ الرِّفْقِ والرَّحمةِ إلّا في المواضعِ الّتي جاءَ مركَّبًا فيها، معَ حرفِ الاستعلاءِ (على)؛ نحوُ: ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: 3][6].

البَعْثُ فيهِ تنبيهٌ وإيقاظٌ والإرسالُ فيهِ رِفْقٌ ورحمةٌ غالبًا

(1) محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 457.
(2) الرّاغب، المفردات: (شكك).
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/ 265.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ريب).
(5) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 103.
(6) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 136 - 137.

الأجداثُ والقُبورُ:

الأجـــــداثُ تُستعمَلُ عندَ الحـديـثِ عن حالةِ الموتى عندَ إحيائِهم

القَبْرُ والجَدَثُ كلاهما يُستعمَلُ في موضعِ دفنِ الميِّتِ، لكنْ يُلاحَظُ في القرآنِ أنَّهُ يستعملُ لفظَ الأجداثِ عندَ الحديثِ عنِ الحالةِ الَّتي يكونُ عليها الموتى عندَ إحيائِهم وخروجِهم مِنْ قبورِهم للحسابِ والجزاءِ؛ مِنْ كونِهم فَزِعينَ ومُسرِعينَ ونحوَ ذلكَ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: 51]، وقولِهِ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر: 7]، وقولِهِ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: 43].

وأمّا القُبورُ فتُستعمَلُ في غيرِ ذلكَ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: 22]، وقولِهِ: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: 13]، وقولِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ [الانفطار: 4][1].

(1) زيدان، الفروق اللّغويّة، ص: 81 - 87.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»